# مُوجَزٌ فِي مُنَاسَبَاتِ القُرآنِ

دكتور
حسام الدين طاهر عبد المنعم
دكتوراه في الآداب - جامعة الإسكندرية



## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد

فهذه نبذة في علم مناسبات القرآن الكريم، ذلك العلم الذي تتجلى فيه صورة عظيمة من صور البلاغة القرآنية العالية، بما يُظهر من وجوه الارتباط بين آيات القرآن الكريم وما يبرز من معالم التناسق في نظم سوره.

ويعد التناسب في ترتيب آيات القرآن الكريم واحدًا من أعظم أبواب تدبر بلاغته والوقوف على أسرار إعجازه، وموضع الإعجاز في ترتيب القرآن وتناسبه أن آياته التي تفرقت في أوقات وأحوال مختلفة في نزولها، اجتمعت في سورها في سياق متصل ونظام محكم، وهذا الانسجام في الترتيب الذي انتهت إليه الآيات في سورها عقب الملابسات والمواقف المتعددة التي نزلت فيها مما لا يصل إليه البشر ولا يتفق لهم، فلو تخيلنا

كتابا كتبه صاحبه على هيئة فقرات صغيرة كتبها في مناسبات متعددة، ثم سعى إلى جمعها وترتيبها في مقالات متصلة لافتقدت كثير منها إلى وجه يربط بينها أو علاقة تجمع متفرقها.

وكلما أمعن القارئ النظر في ترتيب آيات القرآن تكشفت له وجوه من العلاقات والروابط بين آيات السورة، تزيده إيمانا وقناعة بأنه (تنزيل من رب العالمين).

وفي هذا المدخل عرض لأهم القضايا النظرية المتعلقة بعلم المناسبات، مع عدد من التطبيقات التحليلية على تناسب الآيات والسور، فلعله يفيد المطلع عليه في الوقوف على المعالم البارزة لهذا العلم ويعينه على التوسع فيه في التفاسير المتخصصة والدراسات المطولة التي عنيت به.

# طبيعة التنزل القرآني

نزل القرآن الكريم مفرقا في وقائع وأوقات متباينة، ولم ينزل جملة واحدة كما سبقه من الكتب السماوية، وقد بين الله تعالى الحكمة من ذلك بعد أن أنكر المشركون نزوله على هذا النحو، فقال تعالى معقبا على مقالتهم: (وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك، ورتلناه ترتيلا، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)، فكان نزول القرآن منجما ومفرقا على أجزاء كثيرة استمر نزولها نحو عشرين عاما من أسباب تأييد الله تعالى لنبيه الكريم ومن آيات صدقه في دعوته ومن كمال إعجاز القرآن الكريم وتمام التحدي بمعارضته والإتيان بمثله. وبيان ذلك أن نزول الآيات بعقب كل حادثة أو قصة مما يجعل له أعظم الأثر في نفوس المؤمنين بالانفعال له والتلبس بمعانيه والاستجابة لدعوته، ولذلك لم يكن من المستغرب أن ينتظر المسلمون بشغف نزول آيات القرآن كلما حزبهم أمر أو أهمهم حادث، والمتأمل في حياة المسلمين الأوائل وقت نزول القرآن لا يستطيع أن يفصل بينهما، فأسباب النزول هي تفاصيل حياة الأمة الإسلامية الأولى، حتى صار من اللازم

على من يريد أن يفهم القرآن حق الفهم أن يلم بتفاصيل هذه الحياة ليعي مراد الآيات ويقف على مراميها.

ولما كان نزول الآيات على هذا المدى الزمني المتباعد مواكبا لحياة المسلمين ومثبتا لهم في صراعهم مع خصومهم من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، فقد استمر التحدي بالقرآن قائما ومعجزا للعرب عن الإتيان بمثله مع كونه مفرقا وموزعا على هذه الأوقات والأحوال، وذلك مما يفسح لآمال المعارضين له أن يتتبعوا اختلافه وأن ينشطوا لمعارضته، ولكنه في كل مرة كان يسكت الفصحاء ويخرس البلغاء، فكأنه حجته عليهم لم تثبت مرة واحدة، وإنما تتابع إلزام الله لهم بها طوال عشرين عاما أو تزيد.

وقد كان نزول القرآن مفرقا على هذا النحو مظنة وقوع الاضطراب والتفكك في ترتيب آياته وسوره، فالآيات التي نزلت في أوقات متباينة جمعت بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم في سور بعينها، بحيث ربما اشتملت السورة الواحدة على آيات نزلت في سنين عددا، فهل انقطعت

الصلة بين مجموع آيات السور القرآنية؟ وهل افتقرت الآيات القرآنية إلى رباط يجمع بينها في إطار السور التي جمعت فيها؟

# حصول المناسبة في ترتيب آيات القرآن

يكاد يجمع علماء التفسير على حصول نوع من التناسب والارتباط بين مجموع آيات السورة الواحدة، وتجاوز بعضهم ذلك إلى القول بوجود تناسب بين ترتيب السور نفسها، وقد شغلت قضية المناسبات اهتمام كثير من المفسرين على اختلاف مدارسهم، وبذلوا فيها جهودا عظيمة سعت إلى إظهار علاقات الترابط والانسجام بين آيات السورة الواحدة والسور المتعددة.

وفي ذلك يقول الإمام الفخر الرازي: "أكثر أسرار القرآن مودعة في الترتيب"، وتفسيره الكبير حافل بالوقوف على لطائف المناسبات في ترتيب الآيات، حتى إنه يقول في تفسيره لسورة البقرة: "ومن تأمل لطائف نظم هذه السورة وبدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك".

وموضع الإعجاز في ترتيب القرآن وتناسبه أن آياته التي تفرقت في أوقات وأحوال مختلفة في نزولها، اجتمعت في سورها في سياق متصل

ونظام محكم، وهذا الانسجام في الترتيب الذي انتهت إليه الآيات في سورها عقب الملابسات والمواقف المتعددة التي نزلت فيها مما لا يصل إليه البشر ولا يتفق لهم، فلو تخيلنا كتابا كتبه صاحبه على هيئة فقرات صغيرة كتبها في مناسبات متعددة، ثم سعى إلى جمعها وترتيبها في مقالات متصلة لافتقدت كثير منها إلى وجه يربط بينها أو علاقة تجمع متفرقها، وهذا ما دفع الدكتور عبد الله دراز رحمه الله إلى قوله: "إن كانت آيات القرآن بعد تنزيلها جُمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فُرِّق أنقاضًا، فلم تلبث كل لبنة أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة".

والمناسبة بذلك تعد ركنًا أصيلا من أركان البلاغة القرآنية، لا تقل في أهميتها عن النظم الذي هو محور البلاغة ومدار نظريتها الكبرى، وفي ذلك يقول الدكتور محمود توفيق سعد في أثناء تحليله لمنهج الإمام البقاعي رائد علم المناسبات القرآنية: التناسب القرآني قائم من ضربين من النظم، أحدهما أعلى من الآخر:

{الأول: النظم التركيبي..}: وهو " نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب"

{الآخر: النظم الترتيبي..}: وهو " نظم كل جملة مع أختها بالنظر إلى الترتيب " وهذا النظم هو الدعامة الرئيسة للتناسب عند " البقاعي"، ومهمَّته بناء نتاج النظم التركيبي في بناء متكامل متآخٍ متناغٍ بحيث يكون كلّ عنصر من عناصر هذا البناء المتكامل آخذًا بحجز بعضه .

ولأهل العلم في قضية مناسبات القرآن ثلاثة مواقف:

الأول: يؤيد بقوة وجود ترابط محكم بين جميع أجزاء السور القرآنية، وهذا هو الاتجاه الغالب على المفسرين وعلماء القرآن، وبعض أصحاب هذا الاتجاه لا يكتفي بإثبات التناسب بين أجزاء السورة الواحدة، بل يعمم التناسب على ترتيب السور مجتمعة، فيرى وجها من المناسبة بين الانتقال من السورة إلى تاليتها وهكذا.

وقد اشتهر من العلماء المنتمين إلى هذا الموقف: الرازي وأبو حيان وابن الزبير الغرناطي والبقاعي والسيوطي والفراهي، ولم تزل جهود العلماء تتامي في هذه القضية حتى بزغ عنها علم جديد من علوم القرآن وهو (التفسير الموضوعي) الذي يعني ضمن ما يعني بتجلية المناسبات والارتباط بين آيات السور القرآنية، ومن أشهر رواده الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم)، والشيخ عبد المتعال الصعيدي في كتابه (النظم الفني في القرآن)، والشيخ محمد الغزالي في كتابه (نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم)، والدكتور مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في التفسير الموضوعي).

الثاني: يرفض المناسبة ولا يلتفت إليها، بل وينكر على من يسعى لإظهارها، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي الإمام الشوكاني ، الذي يقول معترضا على أصحاب الاتجاه الأول: " اعلم أن كثيرًا من المفسرين جاؤوا بعلم مُتَكَلَّف، وخاضوا في بحر لم يُكَلَّفُوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في

المصاحف، فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يَتَبَرَّأُ منها الإنصاف، ويتنـزَّه عنها كلام البلغاء ، فضلا عن كلام الربِّ سبحانه ".

وقد استند أصحاب هذا الموقف إلى طبيعة التنزل القرآني الذي لم ترتبط فيه الآيات وقت نزولها وإنما تفرقت تبعًا لسبب النزول، وربما استمر نزول السورة الواحدة سنين عددًا، فضلا عما انتقدوه على القائلين بالمناسبة من تكلف العلاقات البعيدة بين أجزاء السورة.

وقد يكون لهم الحق في انتقاد التكلف الذي أتى به بعض القائلين بالمناسبة، لكن أصل الفكرة نفسها ليس مرفوضا، لأن كثيرا من الآيات الكريمة تكاد تفصح عن علاقات الارتباط والتناسب بينها وبين ما جاورها، ولذلك وجدنا الشوكاني نفسه لا يخلي تفسيره من بعض الإشارات إلى مناسبات الآيات، وكأنه إنكاره كان موجها إلى التكلف في إثبات المناسبة وليس إلى المناسبة نفسها.

الثالث: يتوسط في القضية ويرى المناسبة مقصورة على ما اتحد موضوعه أو زمن نزوله من آيات القرآن الكريم، ومن أشهر القائلين بذلك سلطان العلماء العز بن عبد السلام الذي يقول: "من محاسن الكلام أن

يرتبط بعضُه ببعض، ويتشبث بعضُه ببعض، لئلا يكون مقطّعًا مُتَبَّرًا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر مُتّحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو مُتَكَلِّف لما لم يقدر عليه إلا بِرَبطٍ ركيكٍ، يُصانُ عن مثله حَسَنُ الحديث، فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في نَيِّفٍ وعشرين سنة في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتّى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب".

ولكن أصحاب الموقف الأول يردون عن هذا الاعتراض أيضا فيقولون في عبارة مجملة نقلها الزركشي عن ولي الله الملوي قوله: :" قد وهم من قال: لا يُطلب للآي الكريم مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً".

وحين ننظر في بناء السور القرآنية التي تفرق نزولها في مناسبات وأوقات متعددة، والسور التي نزلت جملة واحدة بلا تفرق، فإننا لا نكاد نجد أي فرق في طبيعة ترتيب أي منهما، بحيث إذا عرضت علينا السورتان إحداهما مما تفرق نزوله والأخرى مما اتحد، دون أن يسبق لنا علم بكيفية نزولهما، فلن نستطيع أن نفرق بينهما.

وهذا يفضي بنا إلى القول إن (المناسبة) في ترتيب آيات القرآن الكريم ليست على النمط المعتاد في تأليف الكتب من التقسيم الموضوعي والتبويب والتجزئة والتسلسل، لكنها مناسبة خاصة تقوم على أن لكل سورة مقصدا عاما، أو غرضا كليا يتعلق به جميع آيات السورة وموضوعاتها، وهذا ما أكد عليه أئمة علم المناسبات، فينقل البقاعي عن شيخه المشدالي قوله: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل، يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو

الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا عقلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة".

ومن ثم يمكننا القول إن القائلين بالمناسبة هم أصحاب الرأي الراجح في النظر إلى بناء السورة القرآنية، ولكن مفهومهم للمناسبة لا يعني اتحاد موضوعات السورة أو دورانها على فكرة واحدة، لأن فهم المناسبة على هذا النحو سيؤدي حتما إلى الوقوع في التكلف المذموم الذي أخذه المعترضون عليها، وإنما المقصود بالمناسبة في بناء السورة وترتيب آياتها هو ارتباط آياتها بغرض كلي، وهذا الغرض الكلي قد يحتاج إلى مقدمات، وهذه المقدمات قد تتبعها لوازم، بما يعني أن تصبح السورة كشبكة مترابطة من العلاقات والروابط، وللوقوف على مفتاح فهم هذه الشبكة يجب التأمل في جميع آيات السورة للوصول إلى الغرض الذي سيقت له، وحينئذ تتكشف العلاقات وتتضح الروابط.

## مناسبة الموضوعات القرآنية لمقاصد السور:

## القصص نموذجا

مما يؤكد أمر المناسبة ويظهر أثرها في بناء السور القرآنية تأمل الموضوعات المختلفة التي تكررت في سور القرآن، وتدبر الفرق بين عرض الموضوع نفسه في غير موضع من المواضع، سواء في السور المتعددة أو حتى داخل السورة الواحدة.

ومن أشهر الموضوعات التي يمكن أن نمثل بها لهذا الأمر (القصص القرآني)، فقد تكرر عرض كثير من قصص الأنبياء في مواضع متعددة من سور القرآن الكريم، وقد كان هذا التكرار دافعا لبعض أصحاب الشبهات لاتهام القرآن بالنقص، وكأنهم لم يدركوا ما للتكرار من قيمة بلاغية في كلام العرب، وأنه إذا جاء في مقامه فقد حقق البلاغة ووافق مقتضاها.

وحين ننظر إلى تكرار القصص القرآني في سور القرآني فإننا نقف على ملاحظتين

الأولى: قدرة القرآن على التعبير عن معاني القصة القرآنية في كل موضع ببلاغة وفصاحة لا تقل في أي موضع منها عن الآخر، بحيث لا يمكن أن نقول مثلا إن القصة في سورة كذا كانت أبلغ من سورة كذا، بل كلها على النمط السامي من البلاغة والبيان، وهذه القدرة على عرض الموضوع الواحد مع المحافظة على الطبقة العليا من البلاغة هي وجه من وجوه الإحكام والإعجاز.

الثانية: أن المتأمل في خصوصيات عرض القصة الواحدة في سورة متعددة يجد أن لكل سورة غرضا من سرد القصة وذكر بعض تفاصيلها، وأن هذا الغرض هو الذي يحدد الجزء أو المشهد المناسب لغرض السورة، وهو الذي يرسم ملامح الصياغة الأسلوبية للقصة ويحدد مفرداتها وتراكيبها.

ولتوضيح هذا الكلام نضرب المثل بقصة موسى عليه السلام التي تعد من أكثر القصص القرآني تكرارا في سور القرآن الكريم، ونقف منها على موضعين لنقارن بينهما ويتضح من خلال هذه المقارنة أثر المناسبة في

اختيار ما يناسب مقصود السورة من القصة، وأثرها في الصياغة الأسلوبية لها.

عرضت سورتا (الدخان) و(النازعات) طرفا من قصة موسى عليه السلام، فجاءت في سورة الدخان على هذا النحو:

"وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٣)"

وجاءت في سورة النازعات على هذا النحو:

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)"

وعند التأمل في نظم القصة في السورتين فإننا نلاحظ عدة ملاحظات:

١-أن عرض القصة في سورة الدخان ركز على جانب إنجاء بني إسرائيل من بطش فرعون وبيان ما أوقع الله به وقومه من العذاب، وهذا الجانب لم تتعرض له سورة النازعات، وإنما اكتفت بعرض خلاصة الحوار والجدل الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون مع الإشارة إلى ما أنزل الله بفرعون من العذاب بإيجاز وإجمال.

٢-أن هذا التغاير في عرض القصة بين السورتين مرتبط بسياق كل سورة، فالسياق في سورة الدخان تضمن الحديث عن إنجاء الله تعالى لمشركي العرب وكشف العذاب الذي كاد أن يهلكهم (فارتقب يوم تأتي

السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ... إنا كاشفوا العذاب قليلا)، والسياق في سورة النازعات تضمن الحديث عن إنكار البعث والجدل في أمر العقيدة (يقولون أإنا لمردودون في الحافرة أإذا كنا عظاما نخرة قالوا إذا كرة خاسرة).

٣- أن هناك تشابها في المقصد الذي دارت عليه السورتان وبين المشهد المختار من القصة في كلٍ منهما، فالمقصد الذي دارت عليه سورة الدخان كما يقول الإمام البقاعي هو (الإنذار بالهلكة لمن لم يقبل الذكر الحكيم)، فكان من المناسب أن يذكر من قصة موسى عليه السلام ما يوافق هذا المقصد وذلك بالإشارة إلى إهلاك فرعون وقومه وإنجاء بني إسرائيل، يعني إهلاك المكذبين وإنجاء المؤمنين. والمقصد الذي دارت عليه سورة النازعات هو تقرير عقيدة البعث والإيمان باليوم الآخر، فكان من المناسب أن يذكر من قصة موسى عليه السلام ما يوافق هذا المقصد وذلك بالإشارة إلى فساد عقيدته وادعائه الربوبية العليا وتكذيبه بالآيات ثم إجمال عاقبته دون التعرض لإنجاء بني إسرائيل أو حتى تفصيل العذاب الذي أنزله الله به وبجنوده.

وعلى هذا النحو تتناسب موضوعات القرآن داخل السور، وتترابط أجزاء كل سورة وفقا للمقصد الذي تدور عليه.

## المناسبات داخل السورة

هناك نمطان من التناسب داخل السورة القرآنية، أحدهما يجمع موضوعات السورة كلها تحت مقصدها، والآخر ينتظم به تتابع الموضوعات أو المقاطع التي اشتملت عليها السورة، أو بعبارة أكثر اختصارا: تناسب كلي بين جميع موضوعات السورة، وتناسب جزئي في الانتقالات بين مقاطعها.

وأكثر من يعني ببيان النمط الأول أصحاب اتجاه التفسير الموضوعي الذي برز في العصر الحديث، على نحو ما نجد مثلا لدى الدكتور دراز في كتابه (النبأ العظيم)، فقد عني ببيان ارتباط جميع موضوعات سورة البقرة ونظمها في سلك واحد، لكن عنايته كانت منصرفة إلى محاولة إظهار التناسب بين جمع هذه الموضوعات المتعددة في مقصد كلي.

أما بيان العلاقات التناسبية بين أجزاء السورة فقد كان محل المفسرين القدماء الذين عنوا بعلم المناسبات وأولوه اهتمامهم في تفسير القرآن الكريم، على نحو ما نجد لدى الإمام البقاعي مثلا في تفسيره الحافل (نظم

الدرر)، فهو يأخذ بيد القارئ ليتعرف علاقات الارتباط ووجوه المناسبة بين كل آية وما قبلها وما بعدها.

وينبغي للناظر في مناسبات القرآن ألا يقصر نظره على أحد هذين النمطين، وأن يوسع رؤيته في تحليل تناسب السورة القرآنية على المستوى الكلي والمستوى الجزئي معا.

ونلفت النظر هنا إلى أن الموضوع الواحد قد يتوزع على مقاطع أو أجزاء متفرقة داخل السورة، بمعنى أن تشتمل السورة على عدة موضوعات، ويكون لكل موضوع عدة مقاطع، وهذا الأمر مشكل في ظاهره، لكنه عند التأمل يكشف عن لطائف في ترتيبه حيث يتخذ كل مقطع موقعه من ترتيب السورة في تناسب منتظم واتساق محكم.

ويتضح مما سبق أن هناك نمطا من التناسب الكلي بين جميع موضوعات السورة وبين المقصد الذي قامت عليه، وأن هناك نمطا من التناسب الجزئي في الانتقال من موضوع إلى موضوع، وأن هذا النمط له صورتان

الأولى حين تجتمع آيات كل موضوع في (معقد) متصل.

الثانية: حين تتفرق آيات الموضوع الواحد.

وسنعرض للأمثلة الموضحة لكل نمط منهما من سور القرآن الكريم.

## أولا: التناسب الكلي:

نتوقف هنا مع سورة (الزخرف) لبيان التناسب الإجمالي بين موضوعاتها، وتبعا للأصل الذي أوصى به علماء المناسبات فإن الوصول إلى المقصد الكلي للسورة لن يتحقق إلا بمراجعة جميع عناصرها، وبتأمل سورة الزخرف يظهر لنا أنها تمضي وفق هذا التسلسل:

١-مقدمة السورة: وتتعرض للقرآن الكريم بوصفه رسالة الله تعالى إلى الناس، وتشير إلى موقف الأمم السابقة من الرسالات وما نالهم من العذاب، وتقيم الحجة عليهم بإقرارهم لله تعالى بالألوهية والتدبير، وتذكرهم ببعض نعمه عليهم مما لا يسعهم إنكاره. (١-١٤)

٢-قضية نسبة البنوة لله تعالى وعبادة الملائكة بادعاء أنهم بنات الله، وتقرير افتقار هذا الادعاء إلى دليل وأنه محض تقليد وإعراض. (١٥-٢٥)

٣-الإشارة إلى طرف من قصة إبراهيم متمثلا في تبرؤه من معبودات قومه الباطلة وإخلاصه العبادة لله. (٢٦-٢٨)

٤-ازدراء المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم والرد عليهم. (٣١-٣٥)

٥-بيان ضلال المعرضين عن الدعوة واتباعهم للشيطان الذي سيتبرأ منهم في موقف الحساب. (٣٦-٣٩).

٦-خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يتضمن تحذير المعرضين عنه، والدعوة للاستمساك بالقرآن. (٤٠-٤٥)

٧-طرف من قصة موسى عليه السلام وبيان مصير فرعون وقومه. (٤٦-٥٦)

٨-عرض لجدال المشركين حول عيسى بن مريم وشبهاتهم حوله. (٥٧-٦٤)

٩-بيان عاقبة المتقين والمجرمين. (٦٥-٨٠)

١٠-خاتمة السورة: وتتضمن تنزيه الله تعالى عن الولد وتقرير وحدانيته وتحذير المكذبين له. (٨١-٨٩)

وبتأمل مجموع هذه العناصر أو الجزئيات التي تناولتها السورة يتضح أن المقصد الذي تدور عليه هو تنزيه الله تعالى عن الأولاد والشركاء، وتفنيد

بعض الحجج الباطلة التي استند عليها المشركون في التمسك بعقائدهم الفاسدة، وقد خصت السورة من هذه الحجج: التقليد، والتعلق بالقيم الدنيوية الزائفة، وشبهة عبادة النصارى لعيسى بن مريم.

ويتضح مقصد السورة بجلاء في مقدمتها وخاتمتها، فهما حديث في صميم قضية التنزيه الإلهي من خلال الإشارة إلى وضوح الرسالة التي أوحاها الله إلى أنبيائه لتصحيح العقيدة وإقامة التوحيد، يتجلى هذا الوضوح في عربية القرآن (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)، وفي ظهور الأدلة القطعية على وحدانية الله، وهي أدلة يعترف بها المشركون أنفسهم على نحو ما ورد في مطلع السورة (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض..) وفي خاتمتها (ولئن سألتهم من خلقهم..)، وبظهور هذه الأدلة واعترافهم بها ثم إصرارهم على الشرك لم يعد للرسول من مقال إلا أن يشكو لربه جحود قومه وإعراضهم عن دعوته واستهزائهم به: (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون).

وقد بينت السورة حال هؤلاء المعرضين المصرين على التمسك بالكفر ووصفتهم بالصم والعمي، وحذرتهم من الإذعان لوساوس الشيطان الذي سيتبرأ منهم في موقف الحساب (العنصر الخامس)

وفي مقابلة هذه المكابرة جاء الخطاب الإلهي للنبي الكريم والمؤمنين به أن يستمسكوا بما هم عليه من الحق (العنصر السادس في السورة).

وفي هذا السياق كان من المناسب أن تعرض السورة لعاقبة الفريقين -المؤمنين والمشركين- في الآخرة، فتكون بذلك قد أقامت على المشركين الحجة بفساد عقيدتهم (في مطلع السورة)، وحذرتهم من التمادي فيها(في العنصر الخامس)، ثم عرضت صورا من الجزاء الأخروي لهم، حين يطلبون الموت فلا ينالونه (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) (العنصر التاسع).

أما عن الحجج الثلاثة التي تمسك بها المشركون في تصحيح عقيدتهم الفاسدة، فقد عرضتها السورة وفندتها تفنيدا محكما؛ أما الشبهة الأولى فهي تعلقهم بالتقليد واتباع الآباء والأجداد (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون)، وكان الرد على هذه الشبهة مستلهما من قصة

إبراهيم عليه السلام الذي يدعي العرب اتباعهم لملته وتمسكهم بها، فإبراهيم عليه السلام هو من أعلن البراءة من عقائد قومه الفاسدة ولم يقلدهم فيها، (وجعلها كلمة باقية في عقبه).

وأما الشبهة الثانية فهي ازدراؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم واستنكافهم من نزول الوحي عليه وهو ليس من أشراف قومه وساداتهم، وقد ردت السورة على هذه الشبهة مرتين:

الأولى حين بينت استئثار الله تعالى بتوزيع الأرزاق والمعيشة بين الناس في الدنيا وأن ذلك ليس مقياسا لحالهم في الآخرة، (ورحمت ربك خير مما يجمعون)، وربما فتح الله على أهل الكفر أبواب النعيم في الدنيا حتى يرتقوا في البنيان ويتخذون (سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون، وزخرفا، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، والآخرة عند ربك للمتقين).

الثانية: حين عرضت جانبا من قصة موسى عليه السلام مع فرعون، ركزت فيه على عرض ازدراء فرعون لموسى وانتقاصه له مع الإشادة بنفسه وبما يملك من البلاد التي تجري تحتها الأنهار (أما أنا خير من هذا

الذي هو مهين ولا يكاد يبين، فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب)، تماما كما قال أهل مكة (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم). وهكذا أهل الباطل يتعلقون بمقاييس الدنيا وقيمها الزائفة التي لا حساب لها في موازين الآخرة.

وأما الشبهة الثالثة فهي التي تعلق بها مشركو العرب حين جادلوا في عبادتهم للأصنام وحاوا بها إفحام النبي صلى الله عليه وسلم وإسكاته، وذلك أنهم عمموا قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون)، وأدخلوا فيه عيسى عليه السلام بسبب اتخاذ النصارى له إلها مع الله، (وقالو ءآلهتنا خير أم هو)، وقد رد الله عليهم شبهتهم ببيان حقيقة عيسى عليه السلام وأنه (عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل)، واستطردت إلى ذكر اختلاف الناس في أمره وضلالهم عن اتباع دعوته التي جوهرها (إن الله ربي وربكم فاعبدوه).

والشبهات الثلاث والردود عليها تدعم المقصد الكلي الذي قامت عليه السورة وسعت إلى بيانه، وهو تقرير عقيدة التوحيد ونفي الأولاد والشركاء عنه سبحانه وتعالى.

**ثانيًا: التناسب الجزئي:**

والذي يكون في الانتقال السلس والمترابط من موضوع إلى آخر، وقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا النمط من التناسب له صورتان

الأولى حين تجتمع آيات كل موضوع في (معقد) متصل.

الثانية: حين تتفرق آيات الموضوع الواحد.

ونضرب المثل للصورة الأولى بسورة يس التي يمكن تقسيمها موضوعيا إلى خمسة أقسام

١-مقدمة السورة: وهي حديث عن القرآن ومواقف الناس منه بين مؤمن وجاحد، . (١-١٢)

٢-قصة أصحاب القرية: وتعد هذه القصة بمثابة دليل تاريخي على صدق الرسالة القرآنية وتحذير من تكذيبها بالإشارة إلى مصائر المكذبين من أهل الأمم السابقة (١٣-٣٢)

٣-تذكير ببعض النعم الإلهية وتوجيه إلى بعض آيات الله الكونية، وهو الدليل الواقعي الذي يشاهده المعارضون ولا يسعهم إنكاره (٣٣-٤٧)

٤-حديث عن اليوم الآخر وما فيه من البعث والجزاء، وهو دليل وعظي يتضمن الوعد والوعيد، فيجمع بين البشارة بمصير المؤمنين وما ينتظرهم من ألوان النعيم، وبين الإنذار بمصير المكذبين وسوء عاقبتهم. (٤٨-٦٥)

٥-خاتمة السورة: وهي تتضمن خلاصة أقسام السورة السابقة، فهي تعود لتؤكد مكانة القرآن وصدقه، وتحذر من عاقبة تكذيبه والإعراض عنه، وتذكر ببعض النعم الإلهية التي تستوجب الشكر والاستجابة لداعي الله، ولكن الناس يقابلونها بالجحود والكفر. ثم توجز القول في مقصود السورة وهو تقرير عقيدة البعث والنشور وهو المحور الأعظم الذي تدور عليه غالب السور المكية. ((٦٦-٨٣).

ونلاحظ في السورة سلاسة الانتقال بين أقسامها المختلفة، فالمقدمة تضع الفكرة الرئيسية التي تدور عليها السورة فتؤكد صدق الرسول وصدق

رسالته المتضمنة لعقيدة البعث والجزاء ، ثم تستعرض ثلاثة أدلة تدعم هذه القضية، دليل تاريخي يعود إلى استحضار تجارب الماضي وأحوال الأمم السابقة، ودليل واقعي يعود إلى تأمل الكون واستحضار عظمة الخالق في تدبيره وتنظيم أحواله، ودليل وعظي يعود إلى التحذير من المستقبل وما سيكون فيه من الجزاء على الأعمال، ثم تختتم الصورة بخلاصة وافية تستعرض مقصود السورة وتركز على قضيتها الأساسية.

---

أما عن الصورة الثانية وهي التي تتفرق فيها آيات الموضوع الواحد أو تتعدد فيها مواضع عرض الموضوع الواحد في غير موضع من السورة فنضرب لها المثل بسورة النساء، ونتوقف فيها عند أسرار هذا التوزيع أو التفرق بين آيات اتحدت في موضوعها وتباعدت في ترتيبها داخل السورة الواحدة، وقد كان مقتضى الظاهر أن تجتمع الآيات التي تتحد في الموضوع أو الفكرة في مكان واحد من السورة، وهذا ما دفع بعض المتشككين في بلاغة القرآن أن يتهموه بالتفكك، ولكن كما أسلفنا فإن مناسبات القرآن تقوم على علاقات متشابكة ولا تسير على تسلسل مرتب، ومتى وقف

المتدبر على النكتة من وراء هذا الترتيب فإنه يزداد إبهارا وإجلالا لبلاغة القرآن الكريم ويزداد إيمانا به وتصديقا له.

وهذا التفرق بين آيات الموضوع الواحد يثير المتدبر في مناسبات القرآن إلى سؤالين:

الأول: ما الداعي إلى تفريق آيات اتحدت في موضوعها، ولماذا لم تجتمع كلها في سياق متصل؟

الثاني: كيف انتظم كل مقطع من مقاطع الموضوع في ثنايا السورة؟

والجواب عن السؤال الأول يرتد بها إلى طبيعة المناسبات القرآنية نفسها وأن مدارها ليس على التسلسل المنطقي المرتب ولكن على الترابط بين أجزاء السورة بعلاقات ذات طابع متشابك ومتداخل، وتفرق آيات الموضوع الواحد في ثنايا السورة لا يخرج عن هذا الأصل، ففي كل مقطع من مقاطع هذا الموضوع تتشابك العلاقات وتترابط الآيات حتى مع اختلاف الموضوع وتباعد آياته.

والجواب عن السؤال الثاني يقودنا إلى مثال تطبيقي نتأمل فيه

علاقات التناسب بين كل مقطع من مقاطع الموضوع الواحد في ثنايا السورة، ونتوقف في سورة النساء عند موضوع المواريث الذي تفرقت آياته في مقطعين:

المقطع الأول: الآيات (١١-١٤)

المقطع الثاني: الآية ( ١٧٦ ) وهي ختام السورة

وقد انتظم المقطع الأول في سياقه بمنتهى الوضوح، فقد سبقه حديث القرآن عن اليتامى وأموالهم وتصرف الأوصياء في أموالهم، وفيه هذا الحديث وردت الآية الكريمة (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) التي هي كالإجمال الكلي لقضية المواريث، ثم جاءت آيات المقطع الأول لتبين أحكامها وتفصل مجملها، وقد ختمت آيات هذا المقطع بالتحذير من التعدي على حدود الله، وكان هذا التحذير بعقب أحكام المواريث تأكيدا على ضرورة الاعتناء بشأنها وتسليم الأنصبة كما شرعها الله إلى مستحقيها، ثم انتقلت الآيات إلى مظهر جديد من مظاهر التعدي على حدود الله ولكن في قضية أخرى وهي قضية العلاقات المحرمة

وارتكاب الفاحشة، فانتظمت الآيات على نحو متناسب مترابط.

أما الآية الأخيرة في السورة والتي تضمنت المقطع الثاني في قضية المواريث فقد انتظمت في سياقها على وجه بديع وترتيب محكم برغم تصريح بعض كبار المفسرين -كالعلامة ابن عاشور- أنها لا ترتبط بما قبلها، ولكن ما يظهر عند التأمل فيها أنها ترتبط بصدر السورة، فقضية المواريث من أوائل ما تناولته سورة النساء، وهذا الارتباط بين البدايات والخواتيم مما يعرف في البلاغة برد الأعجاز على الصدور، وهو من وجوه الارتباط في كلام العرب.

وفضلا عن ذلك فإن الآية لا ترتبط بصدر السورة فحسب، بل هناك ارتباط ما بينها وبين ما سبقها مباشرة، وهو قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما)، فمن مظاهر الإيمان بالله والاعتصام به التسليم لأحكامه والاتباع لشريعته، والميراث من أهم ما تضمنته سورة النساء من أحكام الشريعة التي يجب على المؤمنين اتباعها والالتزام بها، فكأن آية الميراث

في آخر سورة النساء هي تطبيق عملي على الإيمان بالله والاعتصام به.

---

وإلى جانب شبهة التفكك في ترتيب آيات القرآن فقد اوجهت إلى القرآن الكريم أيضا شبهة أخرى وهي (شبهة انقطاع السياق)، فقد يقع في ترتيب آيات القرآن أن نجد آية أو غير آية تخفى صلتها بسياقها الذي ترتبت فيه، وهي مع ذلك ضمن كلام متصل لم يحصل فيه خروج إلى قضية أخرى أو حديث منفصل عما سبقه، كأن نجد آية تتحدث عن الدعاء وآدابه في سياق الحديث عن أحكام الصيام، كما في قوله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)، أو أن نجد آية تتضمن الأمر بإقامة الصلاة والمحافظة عليها في سياق الحديث عن بعض أحكام الطلاق، كما في سورة البقرة: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين، فإن خفتم فرجالا أو ركبانا).

وهذه الظاهرة في مناسبات القرآن تعد من قبيل الاستطراد الذي يكون له وجه من التعلق بأحد معاني السياق الذي وردت فيه، فآية الدعاء التي توسطت آيات الصيام ارتبطت بالأمر بإتمام الصوم وإكمال

عدته وإظهار الشكر لله على هدايته وفضله، وهذه الأمور يصحبها دعاء المؤمنين بقبول العمل وطمعهم في ثواب الله تعالى، فجاءت هذه الآية لتقوي فيهم داعي الإيمان وتدفعهم إلى إخلاص العمل والاستجابة إلى أمر الله فيه.

وآيتا المحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى تخللتا الحديث عن بعض أحكام الطلاق والعدة، والملاحظ أن الأمر بالمحافظة على الصلاة في هذا السياق لم يرد مطلقًا، بل تعرض لحالة تكون فيها النفس البشرية أبعد ما تكون عن الالتفات إلى ما عليها من تكليفات، وهي حالة الخوف، وفي ذلك إشارة لمتلقي هذه الأحكام الإلهية إلى بيان خطر هذه العبادة العظيمة من بين منظومة التكليفات الشرعية وضرورة المحافظة عليها وعدم الاشتغال عنها مطلقًا، حتى في الأحوال التي قد يظن فيها الترخص والمسامحة.

ومن أشهر مواضع هذه الظاهرة وأشكلها في القرآن الكريم قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به..) الآيات، فقد تخللت سياقا متصلا حول يوم القيامة وأهواله والحديث عن إعراض الكافرين عنه، ومما زاد

مناسبة هذه الآيات إشكالا أن الروايات الواردة في سبب نزولها تنفصل عن معاني السورة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على حفظ آيات الوحي يبادر بتردادها قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام من تلاوتها، فنزلت هذه الآيات لتوجهه إلى عدم التعجل في التلاوة وعدم الخشية من نسيانه، وهذا التفسير المستفاد من روايات أسباب النزول هو الذي قال به جمهور المفسرين، وهنا يظهر وجه الإشكال في تناسب هذه في سياقها.

وقد رجحت في أطروحتي للدكتوراه أن يكون وجه انتظام هذه الآيات في سياقها أنها تعرض نموذجا مناقضا لنموذج الكافر المذكور في صدر السورة والذي يستخف بوعيد الله ويسأل باستهانة عن موعد يوم القيامة، سؤال الجاحد المشكك في مجيئه، فإذا كانت هذه حاله فإن حال المؤمنين على النقيض منها، حيث يستقبلون آيات الله بالتعظيم والخشية، ويحرصون على تلقيها بقوة واستظهارها لتدبر معانيها، وقد أشار أبو حيان إلى هذا الوجه من التناسب بقوله: "ويظهر أن المناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنه تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضا عن آيات الله تعالى ومعجزاته، وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه، ذكر حال من

يثابر على تعلم آيات الله وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها، فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها، وبضدها تتميز الأشياء".

وعلى هذا النحو لا يعدم المتأمل في علاقات الآيات أن تظهر له وجوه من التناسب والارتباط تنتظم بها سياق الآيات وتتماسك أجزاؤها.

## المناسبات بين السور

إذا ظهر أن ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة يسير على خطة محكمة ومنهج منتظم، وأن المتأمل في علاقات الآيات يقف على مبلغ التناسب والارتباط بين سابقها ولاحقها، وأولها وآخرها، وأن جميع آيات السورة تدور على مقصد كلي وغرض رئيس، وأن موضوعاتها وإن تعددت وتباينت فإنها تعود إلى هذا المقصد الكلي، فهل ينسحب ذلك أيضا على تناسب الترتيب بين السور مجتمعة؟ وهل هناك حكمة من تقديم سورة على أخرى؟ أو هل هناك ارتباط بين السورة وما بعدها؟

الإجابة عن هذا السؤال ترتد بنا إلى مبحث آخر يتعلق بجمع القرآن وترتيبه، وهو مبحث ترتيب السور، أهو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم كترتيب الآيات داخل السور، أم هو باجتهاد الصحابة حين جمعوا المصحف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن المصحف لم يجمع في حياة النبي الكريم وإنما جمع لأول مرة في خلاقة الصديق أبي بكر.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة واختلافهم فيها معلوم، ويتلخص

في ثلاثة آراء:

الأول: وهو مذهب الجمهور، أن ترتيب السور لم يكن بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما وقع باجتهاد الصحابة.

الثاني: أن ترتيب السور كلها توقيفي كترتيب الآيات

الثالث: وهو أعدل الآراء وأقربها للصواب، أن ترتيب بعض السور توقيفي وبعضه اجتهادي.

ولما كانت آراء العلماء محتملة في هذه القضية فإن القول بتناسب الترتيب بين السور يظل قولا محتملا، والاجتهاد في إظهار التناسب بين السور لا يرقى في قوته للتناسب بين الآيات، ومن ثم فإننا نستعير هنا قول المتوسطين في قبول مناسبات الآيات لمناسبات السور، فإذا كانت العلاقة بين السورتين ظاهرة بغير تكلف فالتناسب حاصل بينهما، وإن كانت العلاقة غائبة أو بعيدة فلا حاجة إلى تكلف وجه للمناسبة بينهما لاحتمالية أن يكون ترتيبهما اجتهاديا.

# الطابع الفردي في استنباط مناسبات القرآن

وبعد، فإذا كان أهل العلم قد أجمعت كلمتهم -أو كادت- على حصول التناسب والارتباط بين آيات السورة، وإذا كانوا قد وضعوا المنهج الكاشف عن علاقات الآيات وارتباطها، فإنهم حين شرعوا في تطبيقه على آيات القرآن لم يخرجوا بنتائج واحدة، بل اختلفت تحليلاتهم لسور القرآن واختلفت تقسيماتهم لمقاطع السور وموضوعاتها وفقراتها وعناصرها، وهذا ما يتضح بمقارنة غير تفسير أو دراسة للمهتمين من العلماء والباحثين بإظهار المناسبات القرآنية، فتقسيم السورة أو مقاصدها يختلف من عالم لآخر، فتقسيم البقاعي مثلا يختلف عن تقسيم عبد المتعال الصعيدي وسيد قطب وسعيد حوي ومحمد الغزالي، ووجوه الارتباط بين الآيات تختلف وجهة النظر إليها بين أهل التفسير فما يراه الزمخشري قد يخالفه فيه الرازي وقد يضيف عليه أبو حيان وقد يعقب عليه الألوسي وقد يضيف صاحب المنار وجها جديدا، وهكذا.

وهذا الاختلاف في التطبيق لا يقدح في أصل النظرية، بل يزيدها قوة ووجاهة، فاختلاف وجهات النظر في تلمس مناسبات القرآن لا

يخرج بنتائج متعارضة ولا ينتهي إلى إثبات افتقار الآيات إلى وجه من وجوه الارتباط مثلا، بل مع كل رأي جديد يتكشف وجه جديد من وجوه الارتباط والتناسب بين آيات السورة الكريمة، وهذا التعدد في وجوه الارتباط تزداد به السورة تماسكا وتزداد مناسباتها جلاء وظهورا.

فإن قيل: لم لم تظهر علاقات التناسب بين آيات السورة على وجه واحد قطعي يتفق عليه جميع المفسرين؟ والجواب أن قضية المناسبات ليست من محكمات القرآن التي أجمعت عليها الأمة، وإنما هي ثمرة التدبر في ترتيب آيات القرآن وتأمل معاني سوره، وهذا الأمر تتفاوت فيه الأفهام و تتفاضل بعضها على بعض، وكأن الله تعالى أراد أن تكون مناسبات الترتيب في آيات كتابه من عطاء القرآن المتجدد الذي لا يقف عند قرن ولا ينقطع عند زمن، وأن تكون مجالا رحبا لإمعان التدبر وإنعام النظر في كتابه الكريم الذي أنزله الله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

فاللهم افتح لنا من أبواب الفهم عن كلامك ما يكون سببا لسعادتنا في الدنيا والآخرة، واجعلنا من الذين يتلونه حق تلاوته.

# المحتويات

مقدمة ........................................ ٣

طبيعة التنزل القرآني ................................ ٥

حصول المناسبة في ترتيب آيات القرآن ...................... ٨

مناسبة الموضوعات القرآنية لمقاصد السور (القصص نموذجا) ..... ١٦

المناسبات داخل السورة ................................ ٢٣

أولا: التناسب الكلي ................................ ٢٦

ثانيًا: التناسب الجزئي ................................ ٣٢

المناسبات بين السور ................................ ٤٢

الطابع الفردي في استنباط مناسبات القرآن ................... ٤٤